

أثر الإيمان في إشاعة الاطمئنان

بقلم الدكتور: محمد بن سعد الشويعر

توطئة

الحمد لله رب العالمين، القائل في محكم التنزيل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ
ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١)

والصلاة والسلام على من سماه قومه قبل البعثة الأمين : فكان أميناً على
أموالهم ، وأميناً على أسرارهم ، ثم أميناً على رسالة ربه بعد أن حمل أعباءها .

وبعد :-

فإن أثر الإيمان في إشاعة الأمن والاطمئنان من منظور القرآن والسنة .
موضوع واسع ومتشعب، وتتبع النصوص من الكتاب الكريم . وهدى
المصطفى ﷺ يستوجب حيزاً أكبر، ومجالاً أوسع . وكنت أتمنى الحصر في
جانب من جوانب الأمن الاجتماعي ، أو بعض التشريعات التي فرضت على
المسلمين وأثرها في إشاعة الاطمئنان في حياتهم . أو عن الحدود ودورها في
استتباب الأمن .

لأن راحة النفس لا تكون إلا بالإيمان، ورخاء المجتمع لا يكون إلا
بالأمان . والأمان ثمرة من ثمار الإيمان، وحصيلة من حصائل العقيدة الصافية .

(١) سورة الأعراف آية ٩٦ .

والإيمان والعقيدة الصافية لا يكونان إلا بعد الدخول في الإسلام وفهمه جيداً، وتطبيقه عملاً.

نفس . . . بلا إيمان

ونفس لا إيمان فيها تبقى مضطربة وقلقة، وتائهة وخائفة :-

فأما اضطرابها فلأنها كالسفينة التي تتقاذفها الرياح في البحر. فتموج بها تقلبات الجوى ميمناً وشمالاً، وتتقاذفها العوامل المؤثرة التي تغطي عليها. فهي لم تجد ما يرسوها، أو يوصلها لبر الأمان، لأن كل نفس تأخذ مصدراً تشريعياً في سلوكها، أو منهجاً عقدياً في تصرفاتها. غير المصدر الذي أوجده الله للمؤمنين، وارتضاه سبحانه لعباده وبعث به رسله، فإنه لا يلبي رغبة، ولا يريح نفساً، ولا يحقق هدفاً.

والمصدر الذي ارتضاه الله هو كتابه القويم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل من عزيز حكيم، ثم ما بلغ به المصطفى من وحي عن ربه أو أوضحه من شرع لصالح الأمة وإنقاذهم من الضلالة، مما يعالج ما يختلج في النفوس، ويؤرق الضمائر.

وبهذين المصدرين تسكن النفس من اضطرابها. وترتاح في مسيرتها، وتطمئن على حاضر أمرها ومستقبله.

أما كونها فلسفة: فإن من الغرائز التي أودعها الله في النفوس حب استجلاء المستقبل والتخوف من العواقب، ولكي تسير في اتجاهها: تلجأ يميناً وشمالاً للبحث عما يحقق قبساً من أملها أو راحة من ضمير، ولا يمحو هذا القلق والحيرة من النفوس، إلا يقين يزيل دواعي هذا القلق، ويقضي على مسبباته، والإيمان بالقدر خيره وشره، واليقين بأن ما قدره الله كائن لا محالة والرضا بما قسم الله: من أقوى دعائم هذا اليقين كما في حديث ابن عباس.

وأما كونها تائهة: فإن من يسير بغير هدى، أو معرفة لشرع الله الذي شرع لعباده: فإنه كالمسافر في طريق لا يعرف اتجاهه. وطرق المسالك في العبادة

والعقيدة: كالطرق الموصلة من مكان لمكان، فالذى يأخذ المعروف منها بعلاماته وإرشاداته، فإنه قد سلك الأمن الموصل، أما غيره من الطرق فإنها تؤدي للضياع والاضطراب النفسى، وتدعو للخوف على النفس من المخاطر العديدة، وعلى المال والممتلكات، ألم يقل سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١)

ويقترن بتلك الأمور كلها الخوف، فهو مصاحب للاضطراب، بل هو المحرك له وهو المؤثر فى القلق، كما أنه هو الذى يثير التيهان، ويدعو لعدم الاطمئنان.

فالخوف على المصير، والخوف من المستقبل، والخوف من النتائج، والخوف مما يحيط بالإنسان: على نفسه وولده وماله، وكل عزيز لديه، لأن أنواع الخوف كثيرة، ودواعيها عديدة القياس لكن منهجها واحد.

طريق الأمان

وقد رسم رسول الله ﷺ لأصحابه بوسيلة إيضاح جيدة، ما يؤكد طريق الأمان، ويزيل المخاوف عنهم، وذلك باتباع ما جاء به من عند ربه: فقد خط خطأً مستقيماً فى التراب، وأفهمهم أن: هذا الطريق الموصل إلى الله، وهو ما بعثه الله به، ثم خط خطوطاً جانبية متفرعة منه، وبين أن: هذه السبل، من اتبعها ضل وغوى وابتعد عن طريق الرشاد ثم قرأ الآية للسابقة. وفى كتاب الله جل وعلا علاج سهل المأخذ لمن وفقه الله، يريح القلوب، ويطمئنها من كل أمر مؤرق قال تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٢) أى ترتاح وتهدأ، ويسهل الأمر الصعب، وهذا هو الأمن النفسى، الذى لا يكون إلا بتذكر عظمة الخالق سبحانه واستصغار ما دونه، فلا إله إلا الله: كلمة صغيرة فى حروفها. سهلة فى نطقها، لكنها عظيمة فى مدلولها، كبيرة فى معناها، عميقة فى تأثيرها: فهي مطمئنة للنفس، ومهدئة للأعصاب، ومسكنة للجيشان.

(٢) سورة الرعد آية ٢٨.

(١) سورة الأنعام آية ١٥٣.

ومادة أمن، قد جاءت في كتاب الله هي ومشتقاتها أكثر من ثمانمئة مرة «٨٠٠»: فالمؤمنون والإيمان والأمانة، والأمين، والذين آمنوا، كلها من الأمور المرتبطة حساً ومعنى بالإيمان ونتائجه. وكلها تؤدي برابطة قوية مع الله، ومن منطلق التمسك بشرعه.

كما أن الكلمات التي تدل على معنى الراحة والسكينة، وتوفير السعادة للنفس وتذكيرها بالله وعقابه لمن عصى وانحرف، والنعيم والفوز لمن أطاع واستجاب كثيرة في كتاب الله.

وما ذلك الاهتمام الكثير في كتاب الله بهذا الجانب، إلا لما يوليه التشريع الإسلامي من عناية فائقة بالنفس البشرية، وعناية بتوجيهها، مع كفل ما يريحها ويؤمنها من المخاطر حتى تعمل وهي مطمئنة على النتيجة، مع راحة بال بالوصول لثمرة ما كلفت به، لأن العمل قد حذاه يقين وصدق.

والسنة النبوية قد اهتمت في هذا الجانب بترسيخ ما جاء في القرآن الكريم، لزيادة تمكينه، بزيادة الدلالة اللفظية والمعنوية، لأن زيادة تأكيد المبني، زيادة في تمكين المعنى، كما يقول بذلك البلاغيون.

التعريف اللغوي لكلمة أمن

والتعريف اللغوي لكلمة أمن أماناً وأمانة وأمناً وإمناً وأمنة: اطمأن ولم يخف، فهو آمن وأمين يقال: لك الأمان أي قد آمنتك. والبلد: اطمأن أهله فيه، وأمن الشر ومنه: سليم، وأمن فلاناً على كذا: وثق به واطمأن إليه، أوجعله أميناً، وفي التنزيل العزيز: ﴿هَلْ أَمُنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِٓ مِنْ قَبْلُ﴾^(١)

وأمن أمانة: كان أميناً، وآمن إيماناً: صار ذا أمن، وآمن به: وثق وصدقه،

(١) سورة يوسف الآية ٦٤.

وفى التنزيل العزيز: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾^(١)، وأمن فلاناً: جعله يأمن.

وأمن على دعائه : قال : آمين ، وأمن على ماله وعلى الشيء : دفع مالاً منجماً لينال هو أو ورثته قدراً من المال متفقاً عليه ، أو تعويضاً عما فقد . يقال : أمن على حياته أو على داره أو سيارته ، وأمن فلاناً : جعله في أمن . وأمن فلاناً على كذا : أمنه والأمانة الوفاء والوديعة ، والأمانة ، والأمانة : من يؤمن بكل مايسمع ، ويطمئن إلى كل أحد^(٢)

الأمن الذي تبحث عنه النفوس

والأمن الذي تبحث عنه النفوس في كل شأن من شئون الحياة ، هو جزء من هذه المشتقات التي جاء بها اللغويون وأوضحوها ، وقد جعل القرآن الكريم ، وهدي رسول الله ﷺ محور هذا الأمن الإيمان الذي مقره القلب ، سواء كان ذلك فيما يتعلق بالنفس ومتطلباتها ، كالأمن الصحي ، والأمن النفسي ، والأمن الغذائي ، والأمن الاقتصادي والأمن الأخلاقي ، وغيرها .

أو ما يتعلق بالمجتمع وترابطه : كالأمن في الأوطان ، والأمن على الأعراس ، والأمن على الأموال والممتلكات وغيرها .

أو ما يتعلق بالأمن على النفس من عقاب الله ونقمته بامثال أمره ، وطاعة رسوله ، واتخاذ طريق المتقين مسلكاً لكي تُنْقَذَ النفس بكسب رضا الله ، واستجلاب رحمته والأمن من عذابه في نار جهنم وغيرها .

وكل هذه الأنواع من الأمن مطالب ملحة تسعى إليها البشرية في كل عصر ، وفي كل مكان ، وكل من حمل راية الزعامة في أي مجتمع وبيئة يدعو إليها ،

(١) سورة يوسف آية ١٧ .

(٢) راجع المعجم الوسيط ج١ ص ٢٨ وفيه تفاصيل لمعاني أمن ، وكلها ترجع للاطمئنان ، وهذه التعريفات لا تخرج عما جاء في كتب اللغة كلها ، بل فيها شمول لما جد في الحياة الحاضرة كالتأمين الذي يشعر النفس بالاطمئنان ، ولم يعرف من قبل لدى اللغويين . لكنه شعور غير صادق .

لأنها هي التي تلامس أوتار الخاصة والعامة. ذلك أن النفس البشرية تبحث عن ذلك. ولا تدرك مدى الحاجة له والضرورة الملحة إليه، إلا بفقدانه، أو انتقاص مرتبة من مراتبه.

ويؤصل هذا المدلول ما روي عن رسول الله ﷺ بقوله: «نعمتان مجحودتان وفي رواية مغبون فيهما كثير من الناس - الصحة في الأبدان، والفراغ» رواه البخاري عن ابن عباس^(١) ولئن كانت الزعامات البشرية تغفل عن الأمن الأخروي، والأمن من عقاب الله، فإننا هذا عائد لنقص الإيمان لديها.

أما نظرة القرآن الكريم، وتوجيهات رسول الله ﷺ: فإنها تؤصل الإيمان، الذي يجعل النفس البشرية مطمئنة، تؤمن بما قدر الله، وتستسلم لقضائه، وتحسب ذلك عنده أجراً مدخراً.

ومن هنا فسوف نمر عرضاً ببعض من المطالب البشرية، للاطمئنان على شئون الحياة، ليرز من ذلك اهتمام التشريع الإسلامي بذلك في مصدره: كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ. ليتضح لنا اهتمام القرآن الكريم بالعلاج النفسي المريح، قبل اهتمام علماء ومفكري العالم به.

والفرق بين الاهتمامين أن الإسلام جاء لمصلحة النفس البشرية، وتوجيهها لما يسعدها، وأن المصلحة عائدة لهذه النفس في الأول والآخر، أما ما يضعه البشر من أنظمة، يخاطب بها ألباب الجماهير، وما تحمل من وعود ومطالب وخيالات، فإن هذه الأمور تتبدد كالسراب، لأن الواحد يسعى لنفسه حتى يحقق ما يطلب، ويصل إلى بغيته، حيث يتجاهل بعد ذلك وعده للآخرين بالسعي لمصالحهم، ويتنكر لما يطمئنهم.

ورسول الله ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين، قد كان قدوة صالحة في نفسه أولاً، بمنهج السلوك والعمل، وبدعوته لتأصيل الإيمان، وتمكين العقيدة في الفئة المؤمنة، لأن ذلك مما يطمئن النفس ويريحها.

(١) وجاء في الأثر الصحة في الأبدان والأمن في الأوطان.

ومن هنا ندرك أهمية ما جاء في القرآن الكريم، وسيرة المصطفى ﷺ من آيات وعبر تقويّ دعائم الإيمان، وتمكّنه من النفوس، في كل أمر يعترض الإنسان في أمور حياته وآخرته.

الإيمان لغة وشرعاً

وهذا يدعونا إلى إيراد تعريف للإيمان لغة وشرعاً. ولأن من التعريف يرسخ المفهوم المراد، على ضوء ما يستعرض من أدلة.

فالإيمان لغة: هو التصديق والاطمئنان. وقد مرّ بنا جزء من تعريفات مادة أمن في اللغة والتي توسعت فيها كتب اللغة توسعاً يشبع فهم الباحث، وهي سهلة ميسرة لمن يريدّها.

أما في الاصطلاح الشرعي: فهو الإيمان بالله، والإيمان بملائكته، والإيمان بكتبه. والإيمان برسله، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره.

فهذه الأمور الستة هي التي عليها مدار النفس وتفكيرها، في حاضرها ومستقبل أمرها، في شئون الحياة الدنيا، وما يصلح الأموال فيها، وفي المستقبل المنتظر حدوثه في هذه الحياة الدنيا، أو ما يحصل بعد الموت وعند البعث والنشور.

القرآن الكريم وأثره في توطين النفس

فالقرآن الكريم قد أعطى هذا الجانب اهتماماً كبيراً، لما له من أثر في توطين النفس البشرية على الرضى والاستسلام، والترقب والاهتمام، وفق منطلق عقدي، جعل له التوجيه الإسلامي قاعدة متينة يرتكز عليها. وسنداً قوياً يدعمه، لتشد بذلك جوانب النفس حتى لا تنحرف أو تزيغ.

وإذا كانت النفس البشرية في عصرنا الحاضر الذي تقاربت فيه الشعوب،

وتداخلت الثقافات، وقد دهمها الاضطراب، بحيث أصبح القلق يورقها في كل شيء: فهي تخاف من بعضها البعض، وهي تخاف من كوارث الحياة، ريحاً أو مطراً أو أعاصير أو ثلوج، وهي تخاف من الأمراض المتعددة والأوبئة، وخاصة ما يظهر جلياً في وسائل الإعلام منذ عامين عن المرض القاتل ضعف المناعة المسمى «الأيدز» كما كانت تخاف من السرطان وغيره، وهي تخاف وتضطرب من أمور كثيرة ومتعددة لا يمكن حصرها، حتى أصبح الخوف والقلق سمة من سماتهم، وانتشر تبعاً لذلك الانتحار. والرغبة من الخلاص من هذه الحياة. وما ذلك إلا من نقص الإيمان في قلوبهم، وضعف الوازع العقدي المرتبط بالله وبدينه الذي رضي له عباده، ذلك الوازع الذي يجعل النفس تؤمن بقضاء الله وقدره، بدون تسخط أو تأفف وتحتسب الأجر فيما تتحملة النفس عند الله مدخراً في يوم الجزاء والنشور، عندما يحصل ما في الصدور، ويؤكد هذا المعنى رسول الله ﷺ في حديث رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت رديف رسول الله ﷺ يوماً فقال: يا غلام!! احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وأعلم أنما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك» رواه الترمذي.

والله سبحانه وتعالى يسوق الكوارث على البشر في حياتهم الدنيا، لينبه النفوس من غفلتها، وليعيدها إلى خالقها، ويربطها بموجدتها، ويذكرها به كلما بعدت، وهذا هو الإيمان بالله وبكتبه وبرسله، وهو معرفة الحق المطمئن. الذي جاء من عند الله، إيماناً به، واعتقاداً بأنه من عند الله قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾^(١).

فإذا كانت هذه البلوى في نزول المصائب على النفوس المؤمنة. من أجل أن يقوى إيمانها، وتستعين به على الصبر والتحمل في مجابهة ما ينزل من

(١) سورة البقرة الآيات ١٥٥ - ١٥٧.

بلوى، فإن هذا من ترسيخ الإيمان، والاطمئنان بتمكينه، ذلك أن تسليم الأمور لله، وعدم الجزع مما حلّ لا يتحمّله بصبر وثبات، ورضى واطمئنان، إلا النفوس المؤمنة المحتسبة، وقد سماهم الله في آخر الآيات بالمهتدين السائرين على الدرب المستقيم.

والصبر يأتي على ضربين: صبر المؤمن الذي يرجو أجر الله ويخاف عقابه، فيتحمل في سبيله باطمئنان ورضا أموراً كثيرة وهذا هو الذي حث عليه القرآن الكريم في أكثر من ستين موضعاً، وهذا أول نوع من الجهاد فرض في الإسلام. فقد مكث ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة، يرسخ في أصحابه عقيدة التوحيد، ويأمرهم بالصبر على أذى قريش حتى يجعل الله لهم مخرجاً، ويطمئنهم بنصر الله وتأييده، وأن الغلبة لله ولرسوله وللمؤمنين.

وصبر الكافر على ما ينزل عليه من مصائب وكوارث، فهو إن صبر فغير احتساب وصبره كصبر البهائم لما يحمل عليها من أثقال، أو تلقى من أصحابها في مشقة، وهو إن جزع فإنما يجزع بتسخط على الله الذي قدر الأشياء لحكمة وعبرة، فحياته قلق وضجر.

والقاسم المشترك ما بين المؤمن والكافر في تحمل المصائب والكوارث، والاستسلام للأمر وتطبيقه أو النكوص عنه، هو العامل الإيماني، الذي تفتح عنه النفوس، وتقبله القلوب كما توضحه الآية الكريمة: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ﴾^(١)

والقرآن الكريم يربط كل عامل من عوامل الدنيا التي تجعل الإنسان قلقاً بشأنها، بقوة العقيدة، وسلامة الإيمان ونقاوته، وبذلك تخف الوطأة، وتهون المصيبة. فهو يخاطب النفس بما يطمئنها ويريحها، ويهدئ نائرتها، ولن يمر بالقارئ لكتاب الله آية إلا ويلمس فيها سرّاً عجباً، وعلاجاً مريحاً، يزيل عن النفس كابوس القلق ومؤثر الاضطراب.

(١) سورة محمد الآية ٣١.

وهذا هو أقوى علاج نفسى للخروج من ذلك المحيط، الذى لم يعرف وجوده لدى المسلمين، إلا بعد ضعف الوازع الإيمانى، والتساهل فى أمور الدين، والبعد عن كتاب الله الذى هو أكبر مؤثر يريح النفوس، وتطمئن به لما فيه من عظات وعبر، ووعد ووعيد، وهدي المصطفى الذى يعطى حديثاً لكل حادثة، ويجعل لكل حالة مخرجاً.

وليس هذا المفهوم منا معاشر المسلمين الذين نجد العلاج ماثلاً قولاً وعملاً فقط، ولكن رجال الغرب المهتمين بالنفس البشرية، وما تعانیه فى مجتمعاتهم فى قرننا الحاضر من قلق واضطراب، وأزمات عديدة، قد جاءت دراسات منهم تقول: إن المسلمين لا يعرفون الانتحار المنتشر فى بلاد الغرب، وإن المسلمين لا يعيشون الاضطرابات المتعددة التى وقع فيها أبناء الغرب. وبعضهم يطلق على أجيال ما بعد الحرب العالمية الأولى، والحرب العالمية الثانية أجيال القلق والضيق الفكرى.

ومن هنا نلمس فى ديارهم كثرة المصححات النفسية، وانتشار شركات التأمين على كل شىء يخشون ضياعه أو حلول كارثة فيه.

فاستغلت شركات التأمين التى أسسها ودعا إليها بوسائل إعلامه المختلفة مصاصوا دماء الشعوب وهم اليهود، عندما استغلوا القلق الذى يعيشه أولئك الذين فرغت قلوبهم من الإيمان بالله، فسهل عليهم جذبهم إلى مصائدهم، واستغلال نقطة الضعف فيهم، ومن هنا ندرك بعضاً من سر عداوة اليهود للإسلام وأهله حسبما أوضح الله عنهم فى القرآن الكريم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيكَ ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيْنَ وَرَهَابَنَا وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾

(١) سورة المائدة الآيات ٨٢ - ٨٤.

فاليهود وصفهم الله بشدة العداوة لأهل الإيمان، لأنهم يعرفون الله، ويعرفون الحق الذى أنزل على عباده، ويتركون العمل به وأتباعه قصداً، وبسابق إصرار وعن علم ودراية، فلذلك كانوا أعداء الله، ولأهل الإيمان، وأخذوا الأسبقية فى هذا قبل المشركين عبدة الأصنام للمعاندة والمخالفة مع العلم، فقلوبهم قاسية وحاقدة.

أما النصارى ففيهم رقة تقرّبهم من المؤمنين، فإذا وضع لهم الحق استجابوا لندائه، فهم أقرب للإيمان بآيات الله كما وصفتهم الآية الكريمة.

وما يحصل من قساوة قادة النصارى، ورجال الكنيسة ضد الإسلام فهو لأحد

سببين :-

- إما مصالح قيادية يخشى عليها.

- وإما بتحريض من اليهود الذين يوالون النصارى ليجتمعوا سوياً فى محاربة الإسلام.

ولذا امتن الله على أمة محمد ﷺ بطريق وسط بين غلو النصارى، وجحود اليهود فالمؤمنون من أمة محمد ﷺ، والمصدقون بشرع الله الذى جاءهم من عند الله، والمطمئنة قلوبهم بمصدري التشريع فى الإسلام عن عقيدة ويقين، يدعون الله بالاستقامة على الطريق المستقيم الذى يمثل عقيدة وسطاً، وعملاً لا مشقة فيه فلا تكليف للنفس فوق طاقتها فتملّ. يقول الله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ②

فالمغضوب عليهم هم اليهود الذين عصوا الله عن علم ومعرفة، والضالون هم النصارى الذين يعبدون الله عن جهل وضلال.

وقد قال سفيان الثورى رحمه الله: من فسد من عباد أمة محمد ﷺ ففيه شبه بالنصارى، ومن فسد من علمائهم ففيه شبه باليهود.

(١) سورة الفاتحة الآيات ٥ - ٧.

الإيمان الذي تطمئن به القلوب

فالإسلام هو دين الحق المطمئن بتعاليمه، المريح بمنهجه، وهو دين إبراهيم الخليل عليه السلام أب الأنبياء الذي عرف آيات الله في حداثة عمره، ففي حوارهِ عليه السلام مع قومه عندما دعاهم للإيمان بعدما تبدت له الآيات، نراه عليه السلام يدعوهم لترك الأصنام، ويخوفهم بها، لأن قلوبهم متعلقة بها، لا اعتقادهم النفع والضرر منها، أما هو فلا يرى غير الله جالباً للنفع أو دافعاً للضرر، فهو سبحانه الذي يجب أن تؤمن به القلوب، وتسلم أمرها إليه لتَهتدي وتطمئن، فتأمن وتستقر، ويبرز هذا العامل الإيمان في هاتين الآيتين الكريمتين اللتين حكاهما الله على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾^(١).

فكان هذا الحوار الكريم من نبي الله عليه السلام دعوة قوية للإيمان الذي تطمئن القلوب به، كما أنها حجة قاطعة تسكت من يناقش، فإذا كان الإيمان غريزة في القلوب والتعلق فطرة فطر الناس عليها، فما هو الطريق الأفضل، وما هو الشيء الذي يريح النفس، ويهدىء من نائرتها، ويقضى على المشكلات التي تعترضها؟؟

إن ذلك لا بد أن يكون شيئاً عملياً تتجاوب فيه الأحاسيس مع الوجدانيات، وتتعاطف فيه الحواس مع الأعمال، ويكون فيه انسجام بين المعقول والمنقول، وبين الأخذ والمأخوذ منه.

وهذا كله لا يتأتى في علاقته بأوهام، ولا بمعبودات غير مستقرة لا تنفع أو تدفع عن نفسها شيئاً.

ولذا جاء وصف الله جل وعلا لحوار إبراهيم الذي يدعو للإيمان عقيدة

(١) سورة الأنعام الآيات ٨١-٨٢.

وعملًا، بمقارنته بين آلهتهم التي أشركوها مع الله، في عمل لم ينزل الله به سلطانًا، وبين الرابطة مع الله الذي تطمئن بذكره القلوب، وترتاح بالتوكل عليه هواجس النفس، بحيث تبتعد عن المؤثرات عليها. جاء الوصف لذلك بأن هذه حجة قوية على قومه، حيث لم يجدوا لذلك جوابًا، إذ لاشك أن الأمن مع الإيمان بالله، وراحة الضمير مع عقيدة الوحدةانية به سبحانه فقال تعالى:

﴿وَتِلْكَ جُجُنَاتٌ ابْتِئْنَاهَا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ۚ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّسَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

والإيمان الذي تطمئن به القلوب، وترتاح به النفوس، يدخل في كل شأن من شئون الإنسان فالأعمال لا بد أن تنبثق عن الإيمان وترتبط به، لأن الإيمان بالنسبة للعمل بمثابة المرشح للماء، فالمرشح يصفى الماء، ويمسك الرواسب فيه، فلا يخرج إلا ماء صافياً، ونقياً صالحاً للشرب، يحافظ على الصحة.

وكذلك الإيمان بالنسبة للأعمال قد أوضحه القرآن الكريم، والسنة المطهرة، لأن الأعمال الصالحة مهما كانت والخصال الحميدة التي ترنو إليها الأئمة، وتفاوة النفس من الموبقات والمحضورات كل ذلك ثمرة الإيمان، وقد قال رسول الله ﷺ: [الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان]^(٢)

فإذا كان إمطة الأذى عن طريق الناس حتى لا يؤذيهم إذا مروا به أو وقعت عليه أقدامهم وهو من أبسط الأعمال، يعتبر من الإيمان الذي يطمئن القلوب، لوجود رابطة تضم شمل المؤمنين. وعاطفة تجعل بعضهم يهتم بالآخرين، ولو في الشيء البسيط من الأعمال والأقوال.

فإن دين الإسلام كما هي نصوص تعليماته، تتمكن فيه عقيدة الإيمان

(١) سورة الأنعام الآية ٨٣.

(٢) رواه مسلم.

بأعمال أخرى، منها ما هو عائد للنفس وحدها كالحياء الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ بأنه شعبة من شعب الإيمان الكثيرة، التي حدد عددها في هذا الحديث^(١).

والإيمان لا يكون قوياً إلا إذا وقر في القلب، وسيطر على المشاعر، وقد أوضح هذا المدلول رسول الله ﷺ بقوله: [ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً]^(٢).

وكان من دعاء مالك بن دينار رحمه الله: اللهم أذقني حلاوة الإيمان. ذلك أن للإيمان مذاقاً مميزاً يحس به من تمكن من قلبه، وارتبطت به حواسه.

والعلم إذا اقترن بالإيمان صار درجة مرغوبة، ويحث عليها الإسلام، وهذا هو العلم الذي ينفع صاحبه، وينفع الآخرين، لأن الإيمان يرشد العالم لطريق الصواب، ويوجهه لما فيه الخير.

وهذا مشهد من مشاهد يوم القيامة يوضح فيه أهل العلم الذين آمنوا بالله: حقيقة معرفتهم ما أوجبه الله عليهم، بما علموه من العلم النافع المفيد، فطبقوه في حياتهم، واطمأنت به قلوبهم في يوم الفزع الأكبر، والخوف الشديد، فهم يقولون ذلك وبراحة نفس، واطمئنان قوي، حيث آمن الله روعهم، وسكن قلوبهم بعقيدة الإيمان، يحكى الله جلّ وعلا هذا المشهد بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

(١) البضع مابين الثلاثة والعشرة كما في سورة الروم التي اطمأن بها قلب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وخبر بها قريشاً، وفي بعض الروايات أنه رآهم عليها. ﴿إِنَّمَا إِلَهُ الْإِيمَانِ﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ في وضع سين في الأمر من قبل ومن بعد ويوم يقرح المؤمنون يتغير الله بغير من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴿الآيات من [١ - ٥] من سورة الروم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) سورة الروم الآية ٥٦.

فأصبحت علومهم الدنيوية، ومقدرتهم فى اللجاج والحجج لم تنفعهم، ولم يعتبر ذلك علماً لأنه لم ينقذهم من أهوال ذلك اليوم، ولم يوصلهم لباب من أبواب الاطمئنان والهدوء النفسى، عندما وقعوا فى الأمر، ووصلوا إلى يوم البعث والجزاء، يوم القلق النفسى، أو الراحة أو الاطمئنان والنتيجة هذه لا تتأتى إلا بالعمل وفق منهج كتاب الله، وهدي رسوله، اللذين فيهما الدواء لكل داء. ولذا قال بعض العارفين من علماء الإسلام فى صدره الأول: إذا سمعت فى كتاب الله: يا أيها الذين آمنوا. فأصغ إليها سمعك، فهو إما خير يأمرك الله به، أو شر يحذرك الله منه.

الإيمان وقته الحياة الدنيا

وموقف يوم القيامة يختلف عن المواقف الدنيوية، بل إن الإيمان فى ذلك الموقف بعد أن تذهل النفوس، وتضطرب القلوب من هول ما ترى: لا ينفع لأن وقت الإيمان والتبصر قد انتهى، فالإيمان وقته الحياة الدنيا، حيث الفسحة من العمر، وحيث الابتلاء والاختبار، وحيث موطن الصراع بين الخير والشر، بين الشيطان وأعوانه، وبين الاستجابة للحق وهو اتباع دين الله، وما جاء فى كتبه، وأنزل على رسوله.

وهذا مايؤصله القرآن الكريم والسنة المطهرة، بأن موطن الاستجابة فى الدنيا حيث تصارع النفس هواها، ويدعوها الهدي الشرعي للوقوف باطمئنان دون نوازع الشر المخالفة له.

فالتوبة التى جعلها الله تطهيراً للنفوس، ماهى إلا عودة للإيمان بإطمئنان وراحة عندما تسرف النفوس فى الابتعاد عن أوامر الله وتعاليم شرعه. وهى مدخل إيماني واسع تحث عليها المصادر الشرعية فى مواطن كثيرة، وبترغيبات أوضحها رسول الله ﷺ تشد النفوس، وتقويها فى الاستجابة، وتطمعها برجاء وخوف فى الفضل العظيم المحسوس والملموس، استمع مثلاً إلى قول الله

تعالى : ﴿ قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾^(١)

وباب التوبة مفتوح إلى يوم القيامة، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ^(٢).

وبالنسبة للنفس البشرية فمما يطمئنها أن التوبة مقبولة ما لم تغرغر الروح، وهذه بشارة مريحة تبعث الأمل.

وعلاوة إقفال باب التوبة في هذه الحياة الدنيا خروج الدابة التي تسم الكافر والمؤمن بعقيدة كل منهما، فلا يخفى بعضهم عن بعض كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾^(٣)

ذلك أن الخير في الإيمان وأن النجاة في التمسك به، فظواهره في الدنيا بارزة في أمور من حياة الفرد والجماعة، سنمر ببعضها عرضاً، أما الحديث عنها فيطول.

وفي الآخرة بالفوز والنجاة بما تجده النفس مدخراً، يتمثل أمامها عيناً بارزة، بعد أن كان أمراً مخفياً فتتمنى العودة للإيمان، ولكن لا مجال لذلك يقول عز وجل في تخويف المكذابين المعاندين ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾^(٤)

وكنموذج واقع يجب أن تأخذ منه النفوس عبرة يحكي الله قصة فرعون الذي طغى وتجبّر فبعد أن أدركه الغرق، وعاین العقاب، ضاع عنه عزه وسلطانه،

(١) سورة الزمر آية ٥٣.

(٢) راجع أحاديث التوبة في صحيح البخاري ومسلم وهي كثيرة في بابها.

(٣) سورة النمل آية ٨٢.

(٤) سورة الأنعام آية ١٥٨.

ودب فيه الخوف لأنه لم يستطع أن يدفع عن نفسه شيئاً، فأراد أن يرجع للإيمان لعله ينقذه مما حلّ به، فقال الله جل وعلا موضحاً هذه الحالة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا آدَرَاكَ الْغَرَقُ قَالَ ءَمِنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَمِنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٩٠﴾ ءَالْفَنِّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ٩١﴾ فَالْيَوْمَ نَجْعَلُ بَيْنَكَ يَدَيْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ ءَايَةً ٩٢﴾^(١)

فإيمان فرعون الذي تلفظ به : يريد به الأمان والاطمئنان من عذاب الله وعقابه، بعد أن عاين المصير، الذي سيؤول إليه كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه: [بأن الإنسان إذا مات فإن كان محسناً قال: عجلوني عجلوني. وإن كان مسيئاً يصيح يا ويلتاه أين تذهبون بي، فيسمعه كل شيء إلا الثقلين الإنس والجن، ولو سمعوه لصعقوا]^(٢)

وما ذلك إلا أن الأول قد أري منزلته جزاء إحسانه فاطمأنت نفسه، واحب الإسراع بالوصول إليها، لأنها تفضل من الله عليه.

وأما الثاني فلأنه أري منزلته السيئة جزاء تفريطه وإساءته العمل، فخاف من ذلك المصير فهو يريد الابتعاد عنها، ولكن لا مناص من ذلك. وأشد ما يستطيع الخائف التعبير عنه هو الصراخ، والدعوة بالويل والثبور، والرغبة في عدم مواجهة الأمر.

وفي عصرنا الحاضر تكونت أجهزة عديدة للمحافظة على المجتمعات، وتأمين سلامة الفرد، والجماعة، على أنفسهم وذويهم وممتلكاتهم، وسمي بعض هذه الأجهزة بالأمن.

وحرصت أجهزة الأمن هذه في كل دولة ومجتمع أن تأخذ بالأسباب التي تطمئن الفرد، وتشعره بالاهتمام به، بحسب متطلبات هذا الأمن، فوضعت النصائح، واتخذت الحيلة وتكونت الأجهزة، والأعمال السرية والعلمية،

(١) سورة يونس الآيات ٩٠-٩٢.

(٢) رواه مسلم.

وابتكرت النماذج للمحافظة والاهتمام، مع الحيلة في محاربة الطرق المؤدية لذلك.

فهذا هو الأمن الاجتماعي، والأمن الصناعي، الذي يدخل تحته :-
حفظ المجتمع من انتشار الجريمة بالقتل، حتى لا يطغي قوي على ضعيف، وحتى لا يسفك دم مسلم بغير حق، لأن المجتمع الإسلامي قد حفظ بالقصاص والحدود، في مثل قول النبي ﷺ : [أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله تعالى]^(١). وقوله ﷺ : [لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس، والشيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة]^(٢)

فالإسلام الذي اختاره الله دين آخر خير أمة أخرجت للناس، يؤمن النفس، ويحافظ عليها، ويعصمها من التعدي على غيرها، ويحفظ حقها من التعدي عليها بغير حق.

أهمية النفس في الإسلام

فالنفس في الإسلام ملك لله، لا بد أن تعيش آمنة مطمئنة وفق شرع الله، فلا يحق لصاحبها أن يوردها المهالك، أو يحملها فوق طاقتها، ولا أن يقتل المرء نفسه للخلاص من قلق حلّ به في الدنيا، لأي سبب من الأسباب .

فالرسول ﷺ يقول : [لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه فإن كان لا بد فاعلاً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي]^(٣) ويقول ﷺ في توعد لمن قتل نفسه. [من قتل نفسه بشيء فهو يجزأ به في نار جهنم]^(٤) وقاتل نفسه في النار وحتى يأمن المسلم من أخيه

(١) رواه مسلم ج ١ ص ٢١٠ .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) أخرجه الجماعة إلا الموطأ جامع الأصول ٢ : ٥٥٤ .

(٤) جزء من حديث رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة جامع الأصول ١٠ : ٢١٦ .

المسلم، ويطمئن إلى عدم إلحاق ضرر به منه، يقول ﷺ في خطبة الوداع: [أي يوم هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم]^(١).

فرسول الله ﷺ لم يكن يجهل اليوم والشهر والبلد، ولكنه سألهم سؤالاً تقريرياً ليتمكن الجواب من نفوسهم، ويثبت ماسوف يبنى عليه من حكم، كما يقول بذلك البلاغيون. وكجزاء لعقاب تخويف المسلم. وزعزعة الأمن من نفسه، بالاعتداء عليه، جاء العقاب الشديد الذي جعله الله زاجراً لمن يقتل نفساً بغير حق فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾.

إلى أن يقول سبحانه في عقاب العمد الذي أزال الاطمئنان من النفوس: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(٢).

القصاص من أسباب الاطمئنان في المجتمع

وأنواع العقوبات المفروضة تطمئن المجتمع، وتزيل الحقد من النفوس، وتردع من تسول له نفسه الإقدام على أمر فيه جناية، وإخلال للمجتمع حيث يقول سبحانه: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣).

فالقصاص من أسباب الاطمئنان في المجتمع والقضاء على الجريمة، لأنه يقضي على الفئات الفاسدة في المجتمع، حتى لا يتوسع نطاق عملها في أجزاء أخرى منه، حسبما نرى في المجتمعات الغربية، التي رأفت بالمجرم لأنه في نظرهم يحتاج إلى الرعاية والعطف، فهو لم يرتكب الإجرام في نظر

(١) متفق عليه.

(٢) اقرأ الآيات ٩٢، ٩٣ من سورة النساء.

(٣) سورة البقرة آية ١٧٩.

المهتمين بأمره، إلا من مؤثرات تحيط به من صحية أو اجتماعية أو أسرية أو غيرها. فماذا كانت النتيجة؟؟

إنها بالنسبة للمجتمع حسبما هو واقع الحال: خوف واضطراب، وقلق مستمر.

وبالنسبة للأفراد: انتهاك أعراض، وقتل أنفس بريئة، وتشويه بعمل إجرامي متعمد وبالنسبة للأموال: نهب واعتداء وتسلط.

أما بالنسبة للمجرم نفسه: فسجن محدود، وغرامة مالية قليلة، ثم يخرج للمجتمع من جديد وبفن جديد في عالم الجريمة، وهكذا تستمر الحلقة.

لكن شرع الله الذي شرع لعباده في القرآن الكريم، هو الذي يصلح المجتمعات، ويقضي على جذور الاعتداء، والاستخفاف بالنفوس، وإخافة الأمنين، لما فيه من جزاء رادع يقضي بتطبيقه على الشر، لأنه لا يصلح النفوس، ويردها عن ذلك إلا هذا الأسلوب قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى﴾^(٢).

وهذا هو حكم الله الذي فيه طمأنينة المجتمع، وإخافة الفاعل، والردع عن التماذى في العمل الضار، قد أنزله سبحانه على بني إسرائيل في توراتهم، فخالفوا وعاندوا، وبدلوا، فكانت النتيجة جرائم متتالية، واضطرابات تزعزع النفوس، وسار على منوالهم النصارى فحل بهم ما لحق بسابقيهم، حسبما نلمسه اليوم في قوانينهم الوضعية من امتداد لذلك العمل حيث تجني الثمرات السيئة، فما يطفح على الصحافة من أخبار، وما يبرز من تقارير الجريمة من أرقام.

(١) سورة المائدة الآية ٤٥.

(٢) سورة البقرة من الآية ١٧٨.

واختار الله هذه الأمة لتطبيق ذلك فأمن مجتمعهم، واطمأن الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم عند الامتثال، ثم دب القلق في بعض المجتمعات الإسلامية، لأن أقواماً استبدلوا بحكم الله قانوناً بشرياً، وغيروا ما أَرَادَهُ اللهُ، بما أخذوه عن غيرهم تقليداً، واستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير.

ولا شئ يؤمن المجتمع، ويحفظ الأمة، ويقضي على أسباب الخوف، إلا بتطبيق ما ارتضاه الله فى شرعه، وأكده رسوله الكريم، بحماية الأفراد، والمحافظة على الجماعات، لأن الله بعباده رؤوف رحيم.

حفظ الأموال من التعدى، والحقوق من التناول، فالإسلام قد جعل لكل مال حرزه المعتاد حفظه فيه، فمن أخذ شيئاً من حرزه اعتبر سارقاً، والسارق أعطي جزاؤه بقطع يده، التى تناولت على ما ليس لها، لضياع الأمانة فى القلب، وضعف الإيمان فى النفس، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

فقطع اليد ليس عدواناً، أو بقصد التشويه للسارق أو السارقة، ولكنه جزاء لهما باستخفافهما بالأمن، وترويعهما الناس الأمنين، واعتدائهما على ما ليس لهما، وعدم احترامهما لشرع الله الذى يصون الحقوق، ويؤمن الناس بالمحافظة على الأنفس والأموال، من التعدى والتناول بغير حق، ونكالا من الله لعدم الوقوف عند حدوده التى شرع لعباده، لأن التعدى استخفاف بذلك، والله عزيز فى ملكه، حكيم فى إرادته وتشريعه.

وقد يعتبر اللصوص بتنظيمهم وقدراتهم فى إخافة الناس، وسطوهم هنا وهناك على ممتلكات الآخرين، فيقطعوا السبل، ويفسدوا فى الأرض، ويعلمونها حرباً على الله بامتهان شرعه، وتسلباً على المجتمع بقطع الطرق وإخافة الأمنين، والاعتداء على الأموال والأعراض، والإفساد فى الأرض، حيث يضطرب ميزان العدل، وتتخلخل أركانه، فإذا نشأ شئ من ذلك فى

(١) سورة المائدة آية ٣٨.

مجتمع من المجتمعات أزعج السلطة، وضعف كيائها، وضاعت الحيلة لتهدئة المجتمع وإعادة الهدوء والأمن إليه، فيأتي شرع الله العزيز الحكيم، ليحل هذه المشكلة، فالله يقضي على هذه المعضلة، بحل قاطع حسبما يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَىٰ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقَدُّوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ بَنَاتِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾^(١).

وقد قال الباحثون في أصول الجريمة، المهتمون بطمأنينة المجتمعات، إن الإسلام قد وضع قاعدة قوية في القضاء على الجريمة، في تحريمه الأمور التي تتسبب عنها، أو تدعو إليها: كالخمر والزنا والربا والميسر، ثم بوضعه قواعد تريح العاملين بها وفق منهج سليم يرضي النفوس، ويعطى كل ذي حق حقه، ويمنع التعدي، ثم يفرض جزاءات تجتث الشرور من المجتمع، لأن من فيه نزعة شر لا يرتاح إلا بإزعاج الآخرين، ومثل هؤلاء كالجراثيمة التي لا بد أن تكافح، أو كالعضو الفاسد لا بد من بتره، وإلا استشرى الداء في الجسد كله.

وإن من تمعن في مدلول الآيات الكريمة الأنفة الذكر، يدرك منهج الإسلام الصارم في القضاء على الأمور التي يترتب عليها إخلال بالأمن، وإزعاج للبشر، وإضرار بالأمة. ومعلوم كما يقول علماء الاقتصاد: بأن رأس المال جبان لا يطمئن إلا بالأمان، ولا يتحرك وينمو إلا مع الأمن الوطني، والقضاء على مشيرى القلاقل الآخذين بجهد الآخرين، المخيفين للسبيل، وذلك بسلطة تجازيهم في الدنيا، وتقطع دابرهم من المجتمع، وعمل هذه السلطة يدعمه تشريع قوي، ولا أقوى من حكم الله ورسوله وتطبيقهما يخيف من تسول له نفسه العمل بمثل عملهم.

(١) سورة المائدة الآيات ٣٣ - ٣٥.

الإيمان مقترن بالأمان

وفى المجتمع الغربى والأمريكى بصفة خاصة الذى أزعجته الجريمة، وأقلقت مواطنيه وسائل الاستخفاف بالحياة، من فئة معنية من البشر، ضج الناس هناك، وتأثرت كثير من مصالحهم، فرأى بعض رجال الأمن عندهم أن الحل الوحيد فى تخليص المجتمع الأمريكى مما يؤرقه، وتخفيف ما يسببه المجرمون للمجتمع من أمور كثيرة، يكمن فى تعاليم الإسلام، الذى يجعل على النفس رقابة قوية، أقوى من رقابة البوليس وأنظمتة.

وقد جاؤا بأمثلة: أن مجرمين متأصلين فى الإجرام، ومن أصحاب السوابق، قد أسلموا فى داخل السجن، فصلحوا، ولم يعودوا للسجن بعد ما خرجوا منه، أما من خرج منه وهو على ديانته السابقة، فإنه لا يلبث حتى يعود للسجن مرة ومرات.

ومن هذه الدعوة بدأت كثير من الولايات تدعو المشرفين الاجتماعيين والدعاة من المسلمين لتأدية محاضرات وزيارات منتظمة للسجون التى أصبحت أوسع ميدان للدعوة الإسلامية. وقد قال بعض المسئولين فى الأمن عندهم إن الخلاص من الجريمة لا يكون إلا على الإسلام والعمل وفق منهجه.

وهذا أكبر برهان محسوس على أن الإيمان يقترن بالأمان والاطمئنان وراحة النفس.

المال موطن الأثرة لدى النفس ونظرة الإسلام إليه

ولما كان المال من أعز ما يملك الإنسان وهو الذى يسير الحياة فى المجتمعات، فإن سبل الخوف عليه ساقط عباده اليهود ومن يشايعهم إلى ابتكار أساليب للمحافظة عليه وكنزه، وكان مما فرضوه على المجتمعات التى يعيشون فيها: الربا. وهو زيادة المال بدون جهد، فلا يحصل النفع من المال

بالتداول، ولا يزداد الفقير، إلا فقراً وحقداً على الغني، الذي تتضاعف أرباحه بجهد هذا الفقير.

ومن هنا جاء تشديد الإسلام في الربا، واعتباره محاربة لله، ومن ذا الذي يستطيع محاربة الله، ومحاربة رسوله.

وقد قرن الإيمان، وطمأنينة القلب على النفس، وعلى المال، بترك هذا الربا، وطرقه المتعددة، التي أخبر ﷺ بأنها ثمانون باباً، أدناها أن ينكح الرجل أمه علانية^(١) وهي كلها أمور مخيفة، تبعث القلق والقشعريرة في الإنسان وحواسه، ومن ذا الذي يجابه ربه، ويعاند رسوله في حرب معلنة. استمع إلى قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتِمْ فَلَكُم رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾^(٢)

وحتى يرتاح المدين وتطمئن نفسه إلى وجود قلوب رحيمة ترق له، وتهتم به، ولا تقسو عليه، وتراعي حالته التي حلت به، من عسر أو فقر أو كارثة، فقد أمر الله صاحب المال بمراعاة الموقف، وطمأنة إخوانه المسلمين، وعدم التضيق عليهم في المطالبة فقال تعالى موجهاً لهذا الأمر: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣)

ويقول ﷺ في حكاية الرجل الذي كان له ديون على الناس، فكان يرسل غلمانه فيقول لهم: إذا رأيتم المعسر فتجاوزوا عنه لعله الله أن يتجاوز عنا، فلقي الله وقد تجاوز عنه [لفظه في تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٣٢].

وبعكس ذلك، فقد اعتبر ﷺ: مطل الغني ظلم. لأنه قادر على الوفاء ويمنع الناس حقوقهم الواجبة.

(١) نص الحديث في الترغيب والترهيب

(٢) سورة البقرة الآيتان ٢٧٨ - ٢٧٩.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٨٠.

وآيات الربا التى نزلت فى تحريمه فى سورة البقرة، وتأكيدات رسول الله ﷺ فى خطبة الوداع، وفى توضيحاته لأنواع الربا، كل هذا من أجل تكوين مجتمع صالح، ومتماسك، لا يتسلط فيه قوى على ضعيف، أو يستغله من أجل ضعفه، ولا يكثر صاحب مال ماله لمنفعته الخاصة، أو لتحكم فى قوت خلق الله.

بل لابد أن يعمل فيه ما يسعد المجتمع، ويحقق الرخاء والنماء فيه، وليفتح مجالات العمل لفئات عديدة من البشر، هم فى حاجة إليه ليقتاتوا بعمل شريف، وجهد حلال.

وحتى لا يترك أمر البيع أو الشراء بدون قيود، أو التدابير بدون محافظة، نظم القرآن الكريم كما فى آية الدين فى آخر سورة البقرة^(١)، ما يجعل صاحب المال متوثقاً على ماله، مطمئناً على حقه بأنه سوف يأتى إليه عند حلول أجله، فيحصل بذلك النفع للأخذ والمعطى. واطمئنان كل منهما على الذى له والذى عليه.

وهذا ما يحقق أمناً اقتصادياً، لأنهم يقولون رأس المال جبان، لا يتحرك إلا فى الأمن والطمأنينة.

ولأن المال هو موطن الأثرة لدى البشر، وانتظام الحياة فى المجتمعات، وموطن الشحّ للنفوس، فقد روعي فيه أمور تطمئن وتريح، وتنظم الحياة مثل :-

- كتابته والاستشهاد عليه: برجلين ثقتين، أو رجل وامرأتين ممن ترضى شهادتهم.
- تحديد الأجل.
- عدالة الكاتب والشهود.
- مراقبة الله بالنسبة للدائن والمدين، وأن تقواه سبحانه هى المحرك لكل منهما لأنها تردع عن الظلم والجور.

(١) هى الآية رقم ٢٨٢. من سورة البقرة.

- الوصاية على من كان عليه الحق، إن كان سفيهاً أو ضعيفاً... أو لا يستطيع الإملأ في هذا الدين بأن يتولى ذلك عنه وليه العدل.
- عدم الإضرار بالكاتب أو الشهود، أو إخافتهم حتى لا يوجد حجاب دون التعاون بالخير وعليه.
- التأكيد على الاهتمام بالمعروف والتفضل من القادر على أخيه، وأن يكون التعامل حسناً، وعدم الإضرار بمن عليه الحق.

ثم تزيد تعاليم القرآن الأمر تمكيناً بالترغيب في البذل والصدقة والإحسان في أوجه الخير التي تريح أبناء المجتمع الإسلامي، وتزيل عنهم أسباب البغضاء والقلق والحقد والكراهية، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَسْكَرُ بِهِ﴾^(١)

وقوله: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾^(٢) وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾^(٣) أي ينفقون بسخاء ويخافون ألا يقبل منهم، فهم لا يريدون السمعة والجاه، بل يمثلون أمر الله. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾^(٤) لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ^(٥).

وفي سبيل الإنفاق والحث على عدم البخل بالمال وتوضيح أوجه الخير التي يبذل المال فيها ومقارنة ذلك بالجزاء الذي يريح النفوس، وتطمئن به الأفئدة، جاء حث كثير في كتاب الله الكريم على ذلك، مما يستوجب دراسة مستفيضة، وتأليفاً واسعاً.

ورسول الله ﷺ، الذي بلغ شرع الله، واجتمعت القلوب نحوه قد زاد الأمر توضيحاً بثروة كبيرة تعين الباحث، وتريح المتلقي في مثل قوله: [ما من يوم

(١) سورة النور آية ٣٣.

(٢) سورة الحديد آية ٧.

(٣) سورة المؤمنون آية ٦٠.

(٤) سورة المعارج الآيات ٢٤ - ٢٥.

- يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً^(١) وقوله صلى الله عليه وسلم: [والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه]^(٢). وقوله: [من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة... ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة]^(٣).
- فالشحناء والبغضاء يقضى عليها الإسلام بالقضاء على مسبباتها، بحيث وضع حلولاً تطمئن إليها الفئات المؤمنة، وترضى عنها لأن هذا هو حكم الله، ومن لم يرض بحكم الله ويأتمر بأمره فقد وصف بأنه كافر وظالم وفاسق^(٤).
- لذا تولى رب العزة والجلال تنظيم ما يتعلق بحياة الناس في الأموال لأنها مبعث القلق النفسى فى كل مجتمع :-
- فالتركات وزعت وأعطى كل فرد نصيبه ذكراً كان أو أنثى كما فى سورة النساء.
 - والمتوفى حدد له رسول الله ﷺ مقدار ما يتصرف فيه بماله وهو الثلث والثلث كثير.
 - ومنع الإنسان أن يوصي بشيء من ماله لأحد أبنائه حتى لا يفضل إخوته واعتبره الرسول ظلماً كما فى قصة بشير بن سعد مع ابنه النعمان.
 - والغنائم حددت أنصبة كل من يستحقها، وحرّم الغلول وهو الأخذ من مال الغنيمة قبل أن يقسم كما فى سورة الأنفال.
 - والمستحقون للزكاة وهم أهلها الثمانية الذين تدفع إليهم ولا يجوز دفعها إلى غيرهم حددتهم سورة التوبة.
 - والربا ومداخله حرّم كما فى سورة البقرة.
 - والبيع والمداينة أحلت ونظمت كما فى سورة البقرة، لأن فيها قوام المجتمع بالتعامل والتسهيلات.

(١) متفق عليه (باب الزكاة).

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) اقرأ الآيات ٤٤ - ٤٥ - ٤٧ من سورة المائدة.

- والصدقة على المحتاج واليتيم والقريب والإحسان إليهم . والإنفاق على الأولاد والزوجة نظمت ذلك آيات كثيرة في سور من كتاب الله الكريم .

كل هذا حرص عليه الإسلام لتسيير الحياة في المجتمع وإشعار أفرادها بالراحة والاطمئنان على معاشهم ، وانتظام أحوالهم ، والتعاطف فيما بينهم .

فالنفس لا تنتج عملاً في جو مضطرب ، أو إذا كانت غير مرتاحة ، ولذا جاءت تعاليم الإسلام لترريح النفوس بما شرع أمامها ، فتهيأ الجو للعمل والإنتاج ، وجوهر ذلك العلاقة مع الله ، فيوصل ذلك العمل لرضاه وجنته في الأخرى ، مع الثمرة المفيدة التي تعود على الفرد نفسه وعلى مجتمعه بالفائدة الظاهرة . وفي هذا يقول ﷺ : [رحم الله امرأً صنع صنعة فأقننها]^(١)

فمن تعاليم الإسلام التي جاءت في كتاب الله الكريم ، أو في سنة رسوله المصطفى ﷺ وهي تخاطب أهل الإيمان ، وتطمئنهم بنتيجة ما يعملون ، وتريح نفوسهم بما تقوم به من عمل ، يلمس المستقريء نظاماً متكاملاً للناحية المالية ، التي هي محك الأمور ، وسبب المشكلات في المجتمعات في كل عصر .

وإذا كان أصحاب الأموال في المجتمعات غير الإسلامية - وخاصة اليهود منهم - قد حرصوا على زيادة أموالهم بأساليب الربا ، فإنهم في هذا العصر قد ابتكروا أساليب جديدة من باب أخذ أموال الناس بالباطل ، وأكلها بالإثم ، لأن مبدأهم الحلال ما حلّ في يدك ، وذلك بابتكار شركات التأمين المتعددة حيث نسمع ونقرأ عن :-

- شركات التأمين على الحياة بأنواعها لمن حياتهم وأعمالهم في الأرض أو البحر أو الجو .

- وشركات التأمين على الممتلكات من سيارات ومتاجر وبيوت ومزارع ومصانع وغيرها .

(١) رواه مسلم .

- وشركات التأمين ضد الأعاصير - كما هو الحال في أمريكا ضد الترنادو وغيره.
- وشركات التأمين على الحنجرة للمغنيين.
- والتأمين على السائقين للفتيات اللواتي يباهين بسيقانهن ويدخلن مسابقات تقام لهذا الغرض.
- والتأمين على العينين والعنق والذراعين والوجه ضد التشويه.
- والتأمين ضد السرطان، والتأمين على الكلاب والقطط.
- والتأمين ضد الحريق والكوارث الأخرى والأضرار المختلفة.

وغير هذا من أساليب التأمين التي حركتها دعاياتهم وإعلامهم لإخافة الناس، وجعل القلق يسيطر عليهم، فحياتهم في جحيم مستمر، وأعمالهم في بلبلة دائمة، لأن قلوبهم خالية من الإيمان، وقلب خلا من الإيمان أصبح نهباً للنوازع المختلفة، وقد وصفه رسول الله ﷺ: بأنه كالبيت الخرب.

وإذا كان المسيطرون في مجتمعاتهم يعملون لهم تلك الأمور للسيطرة على عقولهم، والتحكم في مقدرات أمورهم، لسلب أموالهم واستعبادهم.

فإن الإسلام قضى على ذلك بحسن التوكل على الله، وملء القلب إيماناً بخشيته ومراقبته، فقد جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: [إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالله الذي لا إله غيره: إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها]^(١).

ويقول ﷺ في حسن التوكل، وتسليم الأمر لله: [لو تتوكلون على الله حق

(١) رواه البخاري ومسلم.

التوكل لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً^(١).
وحسن التوكل على الله لا يكون إلا مع كمال الإيمان، ذلك العمل الذي يطمئن النفوس ويزيل عن القلوب القلق والضجر.
وفي سبيل المحافظة على المال، والاهتمام بأداء حق الله فيه يقول ﷺ: [ما نقص مال من صدقة أو ما نقصت صدقة من مال - وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع عبد الله إلا رفعه الله]^(٢) وتحصين المال وحراسته والاطمئنان عليه، ليست بدفع أقساط لشركات التأمين، ولكن بالزكاة التي تذهب للفقراء والمحتاجين، فتحسن من حالهم وتريح ضمائرهم كما جاء في الأثر: (حصنوا أموالكم بالزكاة).

الفرق بين المؤمن وغيره

والاعتماد على الله، وحسن التوكل عليه، مدخل إيماني قوي للنفوس ومبعث على الاطمئنان والراحة، كما في وصية رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما، قال: كنت رديف رسول الله ﷺ يوماً. فقال [يا غلام إنني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف]^(٣).

والأمن من الكوارث لا يكون إلا بقوة الإيمان وسلامة العقيدة ومراقبة الله دائماً، فالمؤمن يدرك من نصوص كتاب الله، وهدي رسوله الكريم ﷺ: أن الكوارث تساق للعبرة والعظة، وتنبيه الغافلين، ومعاقبة العاصين المعاندين، وأن الخير الذي ينزل على النفوس ما هو إلا من عند الله، أما الشر فمما كسبت

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم والترمذي.

(٣) رواه الترمذي.

أيدي الناس قال الله تعالى ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾^(١).

وأن المؤمن هو الذى يتعظ ويرتبط بالله، أما غيره فتمر عليه الأحداث كما تمر على الجمادات بل إن من الجمادات ما يحس ويخاف قال تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

وفرق بين المؤمن وغيره، بأن المؤمن يتحمل ما ينزل به فى نفسه أو ماله أو ولده، أو ما يحيط به بصبر وطمأنينة ورضا، فيؤجر على ذلك، أما غيره فيستخبط ويجزع فلا يدفع عنه ذلك شيئاً، وإنما يزداد مع وقوع النازلة. ألماً نفسياً، فيستخبط به، ويبطل عمله، وتبقى نازلته عليه - كما قال بذلك بعض العارفين. يقول ﷺ: [أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل]^(٣).

ويقول صلى الله عليه وسلم: [لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يلقى الله وليس عليه ذنب]^(٤).

ولذا قيل: المؤمن مبتلى، ليكون فى ذلك محك لإيمانه، وميزان لدرجة صبره واطمئنان قلبه.

ومكر الله وعقابه، وغيرته سبحانه على نعمه، تكون دائماً نصب عيني المؤمن، فهو يخشى ويخاف على نفسه أولاً، وهل هو من المقبولين أم لا؟ كما جاء فى الأثر: (المؤمن بين مخافتين: أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه).

فهو يخشى من عقابه، ويخاف من مكره سبحانه ونقمته، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٥).

(١) سورة النساء الآية (٧٩).

(٢) سورة يونس الآية (١٠١).

(٣) رواه البخارى وأحمد فى مسنده.

(٤) رواه مسلم.

(٥) سورة الأعراف آية ٩٩.

وخوف من نقمة عامة تصيب الجميع بعمل البعض قال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ (٩٧) ﴿ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴾ (٩٨).

أو قوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ (٩٩) ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ ﴾ (١٠٠).

وما سياق ما حصل للأمن السابقة التي عاندت شرع الله، وكذبت كتبه، ولم تؤمن برسله إلا عبر وعظمت للقلوب المؤمنة، لتدرك أن الراحة والاطمئنان في أمور الحياة وبعد الممات في طاعة الله، واتباع رسوله ﷺ، وما جاء به من شرع من عند الله .

لكن من هو هذا المؤمن الذي تساق له التوجيهات، ويبلغ بالأوامر؟؟ .

إن مبعث الأمن في المجتمع هو الاعتقاد الجازم بسلامة الأوامر والتصديق بها، وتطبيقها، وجعلها منهج حياة يقول ﷺ : [والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن، قيل من هو يارسول الله؟؟ . قال : من لا يأمن جاره بوائقه] (١).

فهنا قرن الإيمان بتأمين الجار والمحافظة عليه وهذا هو أدب من آداب الإسلام العالية، وكل آدابه العالية، لأنها مبعث للأمن، فقد روى أبوهريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : [من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه] (٢).

وقوله ﷺ : [لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه] (٣).

(١) سورة الأعراف الآيات ٩٧ - ٩٨ .

(٢) سورة الملك الآيات ١٦ - ١٧ .

(٣) رواه مسلم .

(٤) متفق عليه .

(٥) متفق عليه .

والإيمان يهذب الطباع، ويزكى النفوس، ويعطيها نظاماً يؤلف بين القلوب، فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله في حديث رواه أبوهريرة: [لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه] ^(١) متفق عليه.

الإيمان - والإسلام

فالإيمان مرتبة أعلى من الإسلام، لأنه أمكن في النفس، وأثبت للجنان قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْعًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١١٠﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ^(٢)

فالإيمان الذي يلامس بشاشة القلب، ليعث الاطمئنان فيها، حيث يوجد مجتمعاً مثالياً في نظامه وتسييره للحياة، وأفراداً متميزين في أعمالهم وتصرفاتهم، واهتمامهم بغيرهم، ويراقبون الله في كل عمل، ويخشونه ويخافون عقابه، فتطمئن قلوبهم، ويطمئنوا غيرهم.

هذا الإيمان الذي جاءهم هو منة من الله، ونعمة كبيرة، لا يحس بدورها إلا من ذاق طعمها، لأن لها تأثيراً في تخفيف المصاب، وتحمل الصعاب، والتبصر في الأمور، والصبر على كل نازلة، والرضى بقدر الله، والإنفاق في سبيله والطمع في جنته، والخوف من عقابه، والتعلق به في كل أمر، لأن له سبحانه الحكمة ويفعل ما يريد، قال الله تعالى ﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَدِينُكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١١١﴾ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ

(١) متفق عليه.

(٢) سورة الحجرات الآيتان ١٤ - ١٥.

أَسْلَمُوا قُلْ لَا تُؤْمِنُوا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾

وحقيقة هذا الإيمان هو الاستجابة لأمر الله طاعة لله، واستجابة لرسوله، وطاعة لولاة الأمور الذين سلمهم الله أمر قيادة الأمة، والنصح لهم، ما أطاعوا الله فينا، ولم يأمرُوا بمعصية تخالف شرع الله، قال تعالى مخاطباً الفئة المؤمنة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (١)

والإيمان إذا استقر في القلوب، يشيع الأمن في المجتمع، ويدعو بوازع باطني كل فرد من أفراد هذا المجتمع - مهما كانت مسئوليته إلى إيجاد رقابة على نفسه واهتمامه بكل ما وكل إليه، ليعمل بهدوء، واطمئنان، رافة بمن يتعلق به أمره من أبناء المجتمع احتساباً للنتيجة عند الله أجراً مدخراً، واثمراً بهذا الدين وشرائعه. وهذا هو أكبر مهديء للنفوس، وأقوى منشط يدفعها للعمل ونكران الذات ويطمئننها على النتائج، يلمس القاريء مثل هذا في نصوص كثيرة مثل حديث رسول الله ﷺ الذي رواه مسلم في صحيحه: [سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل معلق قلبه بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا فيه وافترقا عليه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه] (٢)

أثر الإيمان في أمن المجتمع

وأثر الإيمان حسب النصوص الشرعية، يطمئن النفوس، ويهديء

(١) سورة الحجرات الآيتان ١٦ - ١٧.

(٢) سورة النساء آية ٥٩.

(٣) رواه مسلم.

- المجتمعات من القلاقل، والفتن والأزمات، في أمور كثيرة، اضطربت فيها أنظمة الأمم، وتباينت فيها الآراء رغبة في وجود حل، والقضاء على مشكلة، أجد أن هذا الحيز لا يفيها كلها، ولكن حسبنا الإشارة إلى نماذج منها مثل:
- الأمن الزراعي وتوفير الغذاء: نجد هذا في آيات كثيرة في كتاب الله الكريم مثل سورة يوسف^(١) والنحل^(٢) وغيرهما.
 - الأمن الصحي والاهتمام بالمرضى، كوصايا رسول الله ﷺ بزيارة المريض وهدية في العلاج الطبي حسبما ذكر ابن القيم في كتابه: زاد المعاد في هدي خير العباد.
 - الأمن الأسري ورباط الزوجية، كما في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾^(٣)
 - وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٤)
 - الأمن العائلي والاهتمام بالأولاد، كما جاء في سورة النساء في تقسيم التركات، وفي قول الرسول ﷺ: [إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عائلة يتكففون الناس]^(٥).
 - وفي منعه ﷺ الوصية للولد وقوله: [لا وصية لوارث]^(٦).
 - الأمن التربوي وتعليم الأبناء، يوضح مثل هذا وصية لقمان لابنه^(٧) وحديث رسول الله ﷺ في تعليم الأولاد الصلاة: [مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع]^(٨).

(١) اقرأ الآيات ٤٧، ٤٨، ٤٩ وغيرها من سورة يوسف.

(٢) اقرأ الآيات ٦٦ إلى ٧٨. من سورة النحل.

(٣) سورة الفرقان الآية ٧٤.

(٤) سورة الروم الآية ٢١.

(٥) رواه الترمذي في الجامع الصحيح ص ٤٣٠.

(٦) رواه الترمذي في الجامع الصحيح ص ٤٣٤.

(٧) اقرأ الآيات ١٣ - ١٩. من سورة لقمان.

(٨) رواه أبوداود والترمذي وأحمد عن عبد الله بن عمرو وسيرة

- الأمن في الأوطان وحمايتها كما جاء في الأثر: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الأمن في الأوطان والصحة في الأبدان^(١)) والبلد الآمن هو مكة التي جاء ذكرها في سورة البقرة، وسورة إبراهيم وغيرها.
- الأمن الأخلاقي وتهذيب النفوس، كما جاء في آيات من سورة النور في تحريم الزنا ومنع الخوض في أعراض الناس^(٢) وفي آداب الاستئذان^(٣) وفي فرضية الحجاب وآياته في سورة الأحزاب^(٤)
- أمن العقيدة وسلامة القلوب لارتباطها بالله وحده وبذكل ماسواه يقول تعالى في هذا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٥)
- آيات من سورة الروم^(٦) وسورة الواقعة^(٧)، تربط الإنسان بخالقه المتصرف سبحانه في جميع الأمور.
- أمن المسكن وتوفير المعيشة وتوضح ذلك آيات متعددة من كتاب الله الكريم كما في سورة النحل^(٨).
- الأمن الاقتصادي وحرية الحركة في الأموال بيعاً وشراءً، بعد أداء حق الله فيها بالزكاة والصدقة، وقد حظيت الزكاة والصدقة بتوجيهات كبيرة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، لتهذيب النفوس وتعويدها على البذل والعطاء براحة نفس واطمئنان خاطر، وفي السر أكد لأنها أبعد عن المراءاة.
- تأمين الجار ورعايته في أهله حيث كان جبريل يوصي رسول الله ﷺ بالجار حتى ظن أنه سيورثه.

(١) أما الحديث الذي رواه البخاري فلفظه . . . الصحة في الأبدان والفراغ.

(٢) أقرأ أول سورة النور.

(٣) سورة النور الآيات ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١

(٤) الآيات : ٣٢، ٣٣، ٥٣، ٥٩ . من سورة الأحزاب.

(٥) سورة الرعد آية ٢٨.

(٦) الآيات ١٩ - ٢٧ . من سورة الروم.

(٧) الآيات ٥٨ - ٧٣ . من سورة الواقعة.

(٨) الآيتان ٨٠ - ٨١ . من سورة النحل

- الأمن بالهجرة لمكان آخر، إذا كان المرء لا يستطيع أداء شعائر دينه، أو يجد مضايقات من أعداء دينه، وهذا هو الأمن على العبادة، وقد حكى الله عمن لم ينج بدينه وهو قادر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فَمِمَّ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا^(١)﴾

ولكي يجعل الله مأمناً ومخرجاً لهؤلاء المستضعفين غير القادرين على الهجرة والنجاة بأنفسهم، فإنما مما يطمئنهم أن الفئة المؤمنة مأمورة بالجهاد لتخليصهم ونصرتهم قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا^(٢)﴾

- الأمن بالتوبة، وهذا هو أمن المصير، وراحة النفس في الدنيا بالابتعاد عن أمر يورق النفس ويخيفها التلبس به، وآيات التوبة في كتاب الله الكريم كثيرة ومتعددة^(٣)

ويوضح نماذج من ذلك رسول الله ﷺ في قوله [الله أشد فرحاً بتوبة أحدكم من صاحب راحلة ضاعت منه في أرض فلاة وعليها طعامه وشرابه، فلما أيس منها نام، فاستيقظ فإذا هي واقعة بجانبه فقال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك] [أو كما قال]^(٤)

- أمن النفوس بمجاهدة الكفار، لإظهار دين الله، ولإسعاد البشرية بتبليغه، كما توضح ذلك سورة الأنفال، وسورة التوبة، وسورة البقرة وغيرها. في مواطن كثيرة من كتاب الله^(٥)، لأن قمع أعداء الله وأعداء رسالاته، لا يكون

(١) سورة النساء الآية ٩٧.

(٢) سورة النساء الآية ٧٥.

(٣) اقرأ مثلاً النحل الآية ٧٢.

(٤) أحاديث التوبة في البخاري ومسلم.

(٥) اقرأ مثلاً الآية ٧٢ من سورة النحل.

إلا بقوة السلاح ودفاع المجاهدين المتحمسين لإظهار دينه، يقول ﷺ :
[ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب^(١)].

- تأمين النفوس من التأثيرات الخفية، وحفظها من أثر ذلك كالسحر ونفثات الشيطان كما جاء في المعوذتين وقل هو الله أحد، وآية الكرسي. ففي هذا حرز للنفس وأمان لها من المؤثرات النفسية ووساوس الشيطان واتباعه.

- الرضا والقناعة بما قسم الله، حتى لا تتطلع النفس إلى ما في أيدي الناس فيكون ذلك من دواعي كفر النعم فقد قال رسول الله ﷺ : [إذا رأى أحدكم من فضل عليه بمال أو سلطان، فلينظر إلى من هو أسفل منه، ولا ينظر إلى من هو فوقه فإن ذلك أجدر بشكر نعمة الله عليه^(٢)].

- راحة النفس بالعبادة وفي مقدمتها الصلاة فقد كان رسول الله ﷺ إذا حز به أمر أو أهمله قال : [يا بلال أرحنا بالصلاة^(٣)].

كما كان من قوله عليه الصلاة والسلام : [. . .] وجعلت قرّة عيني في الصلاة^(٤).

- والأمن بالمشورة في كل أمر حتى يخف ما على كاهل الإنسان بإعطائه للآخرين فيشاركون في الرأي: كما في قوله تعالى : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ^(٥).

- وغير هذا من الأمور التي جعلت الشريعة الإسلامية فيها حلولاً لكل ما يعترض الإنسان في هذه الحياة، حيث يجد المرء في المخارج ما يريح نفسه، ويعينه على التغلب على المشكلة التي اعترضته لأن في كتاب الله، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ما ينير الطريق، ويوضح المعالم، ويهديء النفوس.

(١) رواه الطبراني بإسناد حسن.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد ك ٥ رقم الحديث ٢٦٤.

(٤) رواه النسائي كتاب النساء الحديث ١.

(٥) سورة آل عمران آية ١٥٩.

وصدق الله إذ يقول ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١)، وقد وصف الله الفئة المؤمنة بآيات كريمات في مطلع سورة سميت باسمهم، أعطتهم صفاتاً مطمئنة ومريحة، لأنهم في يقين ورضا قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنْ أَبْغَىٰ ذَاكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢)

أما رسول الله ﷺ، فقد ترك أتمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. وترك فيهم وصية خالدة تريح النفوس، وتهدئ المجتمعات وتضمن العدالة وسمو المكانة والاستقرار لمن أتبع ذلك بقوله ﷺ: «تركتم فيكم أمرين لن تظلوا بعدي ما تمسكتن بهما: كتاب الله وسنتي». ففيهما المخرج من كل معضلة، وفيهما الحل لكل مشكلة، وفيهما هدوء البال، وراحة الضمير، والراحة من كل قلق، وفيهما الرابطة القوية بالله عملاً وبشرعه منهجاً وسلوكاً.

فقد قال بعض العارفين: كنت كلما ألم بي مشكلة، أو ضجرت من أمر يقلقني، ألجأ لكتاب الله، فأفتحه وينفتح معه الهدوء والاطمئنان لنفسي، لأنني أجد فيه حلاً لكل أمر، وخروجاً من كل مصيبة.

نسأل الله أن يعيننا على فهم كتاب الله وسنة رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، وامثالهما عملاً وتطبيقاً، والسير وفق شرعهما باستحضارهما في كل وقت، والاهتمام بهما في كل مناسبة، والرضا بما فيهما، والعمل بهما فهماً وتحقيقاً. والله الموفق لكل خير. . .

(١) سورة الأنعام الآية ٣٨.

(٢) سورة المؤمنون الآيات ١ - ١١.